مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 155– 172
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

إشكالات الشعرية بين النصية العربية والغربية – فوكو والجرجاني أنموذجا–

Poetic Problematic Between Arabic and Western Script –Foucault and Al-Jarjani as an Example

الطالب: محمد بوزيزاوي[1]
BOUZIZAOUI Mohammed
جامعة أدرار (الجزائر)، Moh012019@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/13	تاريخ القبول: 2022/03/29	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص: سمعنا أنّ ما كتبه الغرب اليوم تطرق إليه العرب بالأمس، فهل هذا صحيح؟ نأخذ من العرب " عبد القاهر الجرجاني" وكتابه " دلائل الإعجاز"؛ ومن الغرب "فوكو" وكتابه "الكلمات والأشياء" لنبحث في قضية الشعرية، ونجيب على الإشكالية التالية: هل البنية النصية عند "فوكو" هي نفسها النظم عند الجرجاني؟ وما هي ملامح التقارب بين الشعريتين الغربية والعربية؟ إذا علمنا أن جهود "الجرجاني" نظَّرت لشعرية عربية تشير إلى الكلام واللفظ بقوانين النحو والبلاغة العربية والإعجاز القرآني، والاختلاف والذوق وسعة الاطلاع والقدرة على فهم المعاني. وبالمقابل وفي الضفة الأخرى "فوكو". نظَّر لشعرية غربية واقعية وتاريخية علمية بقوانين الفن والجمالية. واللغة بين الدال والمدلول. والغموض والخيال والتجربة البدائية.

الكلمات المفتاحية: الشعرية ، فوكو، الجرجاني، البنية، النظم.

Abstract:

We heard that what the West wrote today was touched by Arabs in the past. So, is that true? We take from Arabs Abd-al-Qahir Al-Jarjani and his book ‘‘Evidence of Miracles’’ and from the West Foucault and his book ‘‘Words and Things’’ to look into the issue of poetry, and answer the following problematic: Is Foucault’s textual structure the same as Jarjani’s systems? What are the features of the rapprochement between the Western and Arab poetic? If we know that Al-Jarjani’s efforts have looked at Arabic poetry, it refers to speech and to the words of the laws of Arabic grammar, rhetoric, Qur’anic prodigies, difference, taste, insight and ability to understand meaning. On the other hand, Foucault looked at a realistic Western scientific history of the laws of art and aesthetics. The language between the signifier and the signified, mysticism, imagination and primitive experience.

Keywords: Poetic, Foucault, Al-Jurjani, Structure, Versification.

المؤلف المرسل: محمد بوزيزاوي، **الإيميل**: bouzizaouimohammed@hotmail.com

1. مقدمة:

تغيرت النظرة الحديثة والمعصرة للنص كبنية مستقلة قائمة بذاتها، بنوعيه العربي التراثي والغربي الحداثي، من حيث القراءة والنقد، فصار التركيز على النص كنظام مستقل عن جذوره بعيداً عن مختلف الروافد الخارجية. لتُعطى الأولوية للبنية أو الشكلية، في إطار المقارنات والمقاربات والتأثير والتأثر، وهذه النظرة قد تكون سابقة عند العرب إذا ما محصنا جيدا في التراث العربي الأصيل، وللكشف عنها لابد من طرح تساؤلات أولية عامة مفادها: هل النص كبناء مستقل تحكمه قوانين ثابتة أم متغيرة؛ وهل يمكن الإجماع عليها والتأصيل لها عربياً وغربياً؟ ولماذا تختلف البنيات النصية في اللغة الواحدة رغم الاستخدمات الواسعة لنفس الوحدات الجزئية؟ وأخيراً وفي ظل طغيان البنيوية أو الشكلية، هل استطاعت أن تحدث تقارباً بين النصوص العربية والغربية؟

وهي تساؤلات مهمة نبحث عن إجاباتٍ لها في أحضان النظرية الشعرية النقدية المعاصرة، التي بدورها لم تكد تسلم من تعقيبات النقاد بسبب الإشكالات الملازمة لها والواقفة في طريق الجهود التنظيرية النقدية. وهذا يحتم علينا تقريب الأفكار بنماذج تطبيقية واضحة، وبمقاربات نقدية واسعة تكشف أهم الجذور وتحدد حقيقة الشعرية الغربية، وإلى أي مدى يمكن أن تلتقي مع الشعرية العربية، حتى تتضح الشعريتان أكثر.

وفي مسعى لتطبيق هذا الطرح، إنطلاقاً من عمق الإشكالية في المقال التي هدفها بالدرجة الأولى هو التقريب بين الشعريتين الغربية والعربية في جانبها التطبيقي، تتجلى إشكالية أخرى مفادها: ماهي ملامح التقارب بين الشعريتين الغربية والعربية، من منطلق البنية النصية عند الناقد الفرنسي" فوكو" في كتابه "الكلمات والأشياء"؛ ومن منطلق النظم عند العالم اللغوي العربي " عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"؟

2. إشكالات النظرية الشعرية:

أول ما يلفت نظر السامع عند الحديث عن الشعرية هو تتعلقها بالشعر فقط، وهذا تغيّر ليشمل حتى النصوص النثرية، التي حملت بين طياتها خصوصيات جمالية وفنية فرضت حضورها الأدبي، وبهذا تحولت الشعرية إلى نظرية نقدية صارت محل اتهام بعديد الأسئلة، منها:

هل الشعرية هي نفسها الأدبية والإنشائية والأسلوبية؟ وما مدى تموقع الشعرية إلى جانب النظريات النقدية؟ وبصريح العبارة هل الغاية من الشعرية هي تثمين الشعور النصي أو البناء اللغوي؟ وقد طُرحت عدة تساؤلات نقدية تتماشى والدراسات اللسانية الجديدة التي أصّل لها دوسوسير؛ والتي سمحت بميلاد نظريات نقدية معاصرة ومنها الشعرية. " فقد كان ظهور محاضرات دي سوسير في علم اللغة عام 1916م فاتحة عهد جديد في مضمار العلوم اللسانية بصفة خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة" (زكرياء، صفحة 43).

والذي يدفع إلى التساؤل أكثر هو وجود شعرية عربية عتيقة تمثل تراثياً جنسا أدبياً هو الشعر له خصائصه ومميزاته. ولفهم الفكرة نستحضر العقاد الشاعر والناقد الذي وصفه البعض بأنه كاتب لا شاعر، في رأيٍ نقديٍ يُنبيءُ بتحول في عالم الكتابة التي ربما ما عادت تركز على الوجدان بل تعدته إلى أبعد من ذلك، " وعلى هذا بقيت شاعرية العقاد تتأرجح بين من يرفعه فوق مصاف شعراء العصر الحديث، وبين من ينفي شاعريته، أو يفضل كتابته النثرية على شعره ليرفع من شأن الشعراء الذين يدين لهم بالولاء. وهكذا ظلت شاعرية العقاد حقلاً يكاد يكون بكراً، ويحتاج إلى دراسة موضوعية تضعه في موضعه من تاريخ الشعر العربي الحديث" (عبد الحي، صفحة 6) فالشاعرية العقَّادية يصعب التعرف إليها بسبب الغموض الذي اكتنف كتاباته. إلاَّ أن النظرة السطحية الشكلية تعطي الأحقية للشعرية الوزنية في الوهلة الأولى، وبعد التعمق يتبين غير ذلك.

ويطرح "حسن ناظم" في كتابه "مفاهيم الشعرية" أسئلة لها علاقة بالشعرية هي: ما علاقة القراءة والتلقي بالشعرية؟ فيشير إلى دخول القارئ في مجال الشعرية؛ والسؤال الثاني: ما مدى موضوعية نظريات الشعرية؟ كنظرية الانزياح عند جون كوهن، أو نظرية الفجوة (مسافة التوتر) عند أبو ديب؛ والسؤال الثالث: هل استطاعت الشعريات الحديثة بمختلف مفاهيمها النظرية أن تفسر أو تجلي الوسائل الشعرية كلها ومن دون استثناء (حسن، 1984، الصفحات 6–10)؟

فنظريات الشعرية بحاجة إلى تكاثف لتعطي نظام متكامل يكشف شعرية الخطابات، والذي لم يتشكل بعد رغم الجهود النقدية التنظيرية الواسعة، وهذا سؤال يوجَّه لكبار النقاد الذين لهم باع في العمل النقدي والتحليل النصي. وفي كلامه عن اللسانيات والشعرية في كتابه "قضايا الشعرية" يطرح جاكبسون سؤالاً : ما الذي يجعل من الرسالة اللفظية أثراً فنياً؟ ويواصل التنظير للعلاقة بين اللسانية والشعرية بطرح سؤال آخر يقول فيه: لماذا يجب علينا القيام بتمييز بين اللسانيات الخالصة واللسانيات التطبيقية؛ وبين علم الأصوات وعلم تصحيح النطق، ولا تميز بين الدراسات الأدبية والنقد؟ (رومان، 1988، الصفحات 23–61)

إن أول سؤال يتعين على الشعرية الإجابة عنه هو: ما هو الأدب؟ وبعبارة أخرى يجب أن تحدد الخطاب الأدبي في علاقاته بمختلف الخطابات الأخرى، ومن جهة أخرى يتعين على الشعرية وصف النصوص الأدبية من خلال التمييز بين مستويات المعنى (تزفيطان، 2016، الصفحات 111–118).

وهذا السؤال طرحه أيضاً الناقد السعودي "عبد الله الغذَّامي" في كتابه "المشاكلة والاختلاف" بصيغة أخرى بقوله: كيف يكون النص الأدبي نصاً أدبياً؟ والغرض منه هو البحث في أدبية الأدب أو نظرية الأدب، فمنذ نشوء الأدب والسؤال يتكرر بحثاً في الآراء والأفكار، لإعطاء الفكرة الجديدة رصيداً معرفياً من الموروث الثقافي يساعدها على

احتلال موقع مأمون في النسيج المعرفي الإنساني له مصداقية وبعد تاريخي، خاصة وأن النصوص تقوم على قاعدة الإختلاف رغم التلاحم من حيث البنية والتفتح، ومن حيث إمكانات الدلالة؛ وفي مقابل الاختلاف تأتي المشاكلة التي تهدف إلى جعل الابداع نظاماً انضباطياً يتشاكل النص بوصفه لغة مع الأشياء بوصفها واقعاً مقرراً سلفاً، ويكون النص ثانوياً وتابعاً ومحاكياً، وهو مادة للقراءة والتفسير، ومن هذا الباب تتجلى ملامح الشاعرية متعرضة لنشأة النص وإبداعه، والهدف أولاً وأخيراً هو إثارة الأسئلة حول إشكاليات التفسير والوصول بالنظرية الشعرية إلى التأصيل (عبد الله ، 1994، الصفحات 5-9). ويزيد الغذامي من تساؤلاته نبشاً في عمق المشكل وتأصيلا لقضايا الاختلاف والمشاكلة؛ بطرح المزيد من الأسئلة بحثاً عن الركائز الأساسية للنظرية الشعرية فيقول: هل يمكن عقلياً أن يحدث تطابقاً بين اللفظ والمعنى؟ ويحاول أن يجد ضالته من خلال البحث في التراث الذي هو المرجع أولاً وأخيراً. وتستمر إشكالية الشعرية في الانتشار متبعثرة ومخلفة تلميحات تؤكد التيه الذي خلفته في النظر إلى النصوص واستنطاقها سواءً كانت شعراً او نثراً. ومن ذلك مشكلة شغلت النقاد ذهنياً و فكرياً، هل هذا شعراً؟ هل هذا الفن الذي تغنى به الشعراء –قدماء ومحدثين–ناشئ عن صناعة أو ناتج عن طبيعة؟ هل هذا العمل الأدبي الذي يتغنى به الشاعر على أغصان الحياة نغم فطري يخرج في غير تكلف أو احتفال؛ أم أنه لحن مصنوع يصدر عن رغبة واهتمام واردة؟ (عبد الفتاح، 1990، صفحة 148)

. وفي إشارة طفيفة حاول أحدهم التركيز على شعرية شوقي التي تشبعت عربياً وغربياً، فهل قصد الشعر كشعر؛ أم الشعر كعمل فني له خصائصه ومميزاته وتحكمه قوانين تسيره وفق الحاجة النقدية؟ كيف جمع شوقي في نفسه بين شاعرين: شاعر الحياة العربية الروحية الإسلامية، وشاعر الحياة المادية الغربية؟ (محب الدين، 2011، صفحة 311)

وتسآل البعض: كيف نتعامل مع النص؟ وما هي الأدوات التي تفك شفراته؟ وهل أن هذه المفاتيح هي عناصر خارجية على النص؟ (محمد، صفحة 7)

وفي كتابه "الغربال" يتطرق "مخائيل نعيمة" إلى معظم الإشكالات التي تصب في مجرى التوضيحات العامة للشعرية في إطار التنظيرات العامة للنظرية النقدية المعاصرة من وجهة نظره. إنّ لكل شيء قيمتين روحية ومادية؛ والأدب له قيمة روحية. فكيف نحدد قيمة الأدب؟ بماذا نقيس هذه القصيدة، أم تلك المقالة، أو القصة، أو الرواية؟ أمن حيث طولها، أم قصرها، أم تنسيقها، أم معناها، أم موضوعها، أم نفعها؟ أم بإقبال الناس عليها وعدد الطبعات؟ أم نرجع ذلك إلى ذوق القارئ؟ أو الميزان هو ثوب تختلف الناس في لبسه وخلعه والحكم عليه؟ ما السر وراء بقاء نصوص خالدة كالمعلقات تبعث الحياة في نفوس القراء رغم مرور الزمن؟ لماذا تبقى النصوص التاريخية

تشدنا إليها بقوة رغم مضي الأحداث واضمحلالها؟ ماهي خفايا كتابات شكسبير البالية في وقتها، الجديدة اليوم؟ فإذا كنا لا نزال نعجب ونطرب بما كان يعجب به العبراني واليوناني والسرياني والايتالي والعربي والانجليزي منذ مئات السنين؛ أو لا يمكن القول: إن المقاييس هي نفسها؟ وهل هذا يعني أنّ هذه المقاييس ثابتة لا تتغير رغم تغيُّر الزمان والمكان؟ (مخائيل، 1991، الصفحات 65–74). القيمة والذوق والتاريخ معيير لابد أن تكون حاضرة في النص الأدبي، وهي أسس عامة للنظريات النقدية. فهل تكفي وحدها لبعث معالم الشعرية أم أنها بدايات لانطلاقات يمكن أن تشارك قوة البصيرة؟

ويطرح الدكتور "مشري بن خليفة" في كتابه " الشعرية العربية" بعض التساؤلات حول الشعرية العربية في بداية بحثه، هل الشعرية العربية واحدة أم متعددة؟ وماهي المفاهيم والمرجعيات المتحكمة في آليات تشكل الشعرية العربية على المستويين النظري والنصي؟ وأخيراً: هل حقيقة أن الشعرية العربية المعاصرة مازال بها بقايا شفوية؟ (مشري، 2011، صفحة 13)

وأما المدرسة الأمريكية التأثرية (مدرسة التأثير أو الانطباعية) فلها وجهة نظرها حول الإبداع الفني، والشيء الذي يحكم المبدع والناقد بعدما حمل نقادها ثورة على الأدب والنقد أو على المدراس الأدبية الهدف منها هو تحرير الأدب من مدارسه ومن كل ما هو قديم، وإبعاد حكم النقاد على الأدباء، فما هي المقاييس المعتمدة في النقد للحكم على الأدب وصانعيه؟ ومن الذي يعرف حقيقة الأشياء ؟ (طه، الصفحات 196–200)

وإلى أن تتضح الرؤيا أكثر نقول إلى متى يبقى الجدل قائما حول الشعرية؟ إن الإنسان بشعوره وقيمه الروحية وأذواقه القلبية وتعاقباته التاريخية إذا دخل ميدان الفن أخرج ترسبات تحاكي جمال الحياة وتعطي عوالم تزداد فوارقها بالملامح الاختلافية الكامنة في جوهر الإنسان. وإذا نضج عقلة وتفتحت قريحته زاد إبداعه واكتمل تدريجياً. ويبقى جوهر الاشكالية مطروحاً: من الذي سمح بظهور ملامح الشعرية؛ الناقد أم الأديب؟

3. مفهوم الشعرية :

3–1 الشعرية لغة:

في معجم "العين" (الخليل بن أحمد، الصفحات 25–50) "للخليل بن أحمد الفراهيدي": يبين عدة معاني تنبثق من جذور الكلمة، ومنها: "شعر" المعبرة عن الشَّعر: رجل أشْعَرُ؛ طويل شعر الرأس والجسد كثيره، وجمعها شعور وشعْر وأشعار؛

وفي المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدا من مادة (ش ع ر) شَعَرَ به وشَعُر يشعُر شِعراً وشِعْرَةً ومشْعُورَةً وشُعُوراً وشُعُورَةً وشُعْرى ومشْعُوراء ومشْعُورًا، كله علم؛ وليت شِعري أي ليتني شَعَرْتُ؛ وأشْعَرَهُ الأَمْرَ، وأشْعَرَهُ به: أعلمه أيَّاه (ابن، 2000، صفحة 364)، قال تعالى: (...وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ).(الأنعام، 110).

وهو ما يخرج من الشعور، وقد حمل الرأس لخروجه من الجسد، والشعر بمعنى الإعلام والإخبار والإحساس، ورغم تعدد الاشتقاقات سيرجع دائماً للشعور المجسد في تجارب فريدة ورائعة.

2-3 الشعرية اصطلاحا:

لها عدة تعريفات تشير إلى عدة معاني، فيربطها أدونيس بالشفوية أو السماعية؛ فيقول: "بنيت الشعرية على جمالية السماع والاطراب التي حولها الاستخدام السياسي الخاص والإيديولوجي العام إلى نوع من جمالية الايصال الإعلامي، بحيث يكون الشعر فنا قوليا يؤثر بطريقته الخاصة في نفوس الناس مدحا، أو هجاءً، أو ترغيبا، أو ترهيبا" (أدونيس، 1989، صفحة 23)، وتُعرّف أيضاً بأنها غير الشعور، بل هي معارف وخبرات،"...الشعرية في انتمائها الجمالي والمعرفي هي غير الشعر" (بشير، 2010، صفحة 281) ويعرفها" سحر سامي" بقوله، "هي استنباط القوانين التي تصنع فرادة الحدث الأدبي وتحكم عملية الإبداع" (سحر، صفحة 13) ويزيد تأكيدا لذلك بقوله" هي قوانين الخطاب الأدبي التي يتوجه بموجبها وجهة أدبية" (سحر، صفحة 13)، وفي كتابه "الثابت والمتحول" يحاول "أدونيس" أن يعطي للشعرية أبعادا أخرى فهو يسميها بالنظرة الجديدة فيقول" بأنها الخروج من قدر الطبيعة والدخول في إرادة الإنسان، هي الخروج من الثابت إلى المتحول، هي الخروج من الصراعات والتناقضات الذهنية والدخول في عالم الصراعات والتناقضات الحياتية، هي الإيمان بأن الإنسان قادر على تغيير نفسه والعالم معاً، قادر على صنع التاريخ" (أدونيس، الثابت والمتحول، صفحة 240) ويشير "حسن ناظم" في كتابه "مفاهيم شعرية" قائلا" الشعرية عموماً هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فناً لفظياً، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي وبغض النظر عن اختلاف اللغات" (حسن، 1984، صفحة 9) وفي الأخير" مهما نظَّر المنظرون في الشعرية وعلى الرغم من كل الكلام الذي قيل فيها فسيكون من الأجدى جماليا أن نعد الشعرية قضية مسكوتا عنها لكي نفتح في النهاية آفقا جديدة للاستكشاف" (حسن، 1984، صفحة 10)

ومن جهة تقريب الصورة أكثر، يقول محمد بكادي، مبيبناً تجربة باولو كويلو"...ومنهم من ردها إلى واقعيته وشاعريته وفلسفته وأسلوبه في الكتابة، ولغته الرمزية التي تتجاوز التأثير على عقل القارئ لتصل لقلبه" (محمد ب.، 2011، صفحة 14) ومن جهة أخرى ينظر للشعرية الإبداعية قائلا" هو تلك الخلفية الروحية القائمة على المفاهيم

الفكرية الصوفية، التي كان يعالج بها باولو كويلو جميع تلك القضايا الوجودية، والنفسية، والاجتماعية التي تناولتها أعماله" (محمد ب.، 2011، صفحة 15)، فالكتابات بمختلف أشكالها تمدك بشعرية وأدبية نظراً لخصوصيتها التاريخية، والفكرية والمصطلحية، وتجعلك تبحث عن التأويلات والاستنتاجات والتي لا يمكن الوصول إليها بسهولة إلا بعد فهم مختلف الروافد الكامنة خلف الكاتب.

نستنتج مما سبق اختلاف وجهات النظر حول تعريف الشعرية وذلك انطلاقا من جذرها الثلاثي (ش، ع، ر)، فندرك أن الشعرية عامة مناطها الحس والشعور الزائد عند عامة المبدعين، ليصقل ذلك بلغة جميلة رنانة تحقق الشطر الأول من الشعرية، وأما الشطر الثاني فيرجع إلى رؤيا الإنسان ومنطلقه الفكري ومدى قدرته على استحضاره التراث إذن فهي علم قائم بذاته، وفي العصر الحديث قد أخذت الشعرية أبعادا تُسْتَمد من النظرة النقدية المعاصرة المبنية على موت المؤلف وقداسة النص.

4- الشعرية بين "الجرجاني" و "فوكو":

إنّ القارئَ لكتابي "الكلمات والأشياء" لفوكو" ودلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني يتبين عمق الفوارق اللغوية المجسدة لبنية النصين، والمحددة للشعريتين العربية والغربية، فذهب بعض المؤصلين للشعرية العربية، بإرجاعها إلى نظرية "النظم" لعبد القاهر الجرجاني:

تكلم الدكتور "محمد عبد المطلب" في كتابه "قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني" عن شعريته. مبيناً أنّ المعجم العربي لا يفيد كثيراً في هذه الكلمة، بل حتى في مؤلفات القدماء البلاغية والنقدية إلا ما كان من "حازم القرطاجني" واتصاله بأرسطو في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، و"ابن سينا" في " الشعر" واستخدمه القدماء بمعنى المعاني الشعرية والأبيات الشعرية. وأكثر المصطلحات قرباً به هو "النظم" عند "عبد القاهر الجرجاني"، فالشعرية صارت حداً للتوازي القائم بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية، تسعى إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة العمل الأدبي؛ حيث تكون اللغة هي الوسيلة والغاية معاً، رغم وقوف المعجم والنحو لكشف شبكة العلاقات، وقد أشار إلى ذلك "ابن طبطبا". فالشعرية تتبادل المهمة مع الأدبية والإنشائية رغم انحياز المصطلح إلى أصله الاشتقاقي في الشعر (محمد ع.، 1945، صفحة 90). الشعرية الجرجانية مفردات معجمية تربطها علاقات نحوية تعتمد على الشكل التعبيري دون النظر إلى الواقع، في خطين: المعجمي للمفردات، والنحوي للمركبات يلتقيان فيخلقان الفنية بالمواقع وباللمسة النحوية، فالألفاظ في التراكيب تأخذ صفة الثقل والصعوبة، وتأخذ الروح والخفة والإيناس والبهجة في مكان آخر، ومقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع أخر. ويرجع الشعرية الجرجانية كذلك إلى الدلالة النصية في مقابل المعنى الكلي بالنظر في البعد التعليقي ودوره السابق واللاحق، ثم

النظر في الناتج الدلالي منه، ثم النظر إلى توافق ذلك مع الذهن عند المبدع. ويعتبر خط النحو نسقاً لازماً للشعرية بإعمال الوظائف النحوية حتى لا تواجه بأشتات صوتية كالتقديم والتأخير والاسناد والمحل. وتتكاثر داخل النسق الظواهر التعبيرية التي تلازم الشعرية منها: ظاهرة التوازي، وظاهرة التجنيس، والمعاني النحوية على مستويين سطحية مجردة، وثانوية كثيفة عميقة يعاني الذهن في الوصول إليها (كناية واستعارة وتمثيل)؛ والمستويين هما: المعنى ومعنى المعنى، وظاهرة اللطف المبنية على الحذف تجعل التعبير موازي للنص الشعري، ما يقوله النص بالفعل وما يقوله بالقوة. واتصال الفضاء الشعري بمنطقة المنصوبات والمجاز والتشبيه يمثل شعرية من الطراز الأول لوجود تطابق بين الدال والمدلول، والصورة مساوية للشعرية والبنية المجازية الاتساعية الشبيهة بالانزياح، ويبقى لكل شاعر شاعريته تتجاوز البيت المفرد إلى التركيب المتكامل الأجزاء، يتغلب فيها خط النحو على خط المعجم. استغرق عبد القاهر الجرجاني مفهوم الشعرية في (الدلائل والأسرار) المنصب على الخطاب الأدبي جملة رغم التركيز على الشعر، فالنحو كان أداة الرجل في كشوفه الجمالية المبهرة باسم "النظم" الذي ينقل الصياغة من مستوى إلى مستوى آخر بالنظر إلى الإمكانيات والطاقات الكامنة في بنية الكلام بين الفروق التعبيرية والجمل بعضها ببعض، فمصطلح الشعرية الأرسطي يتحقق بصورة واضحة في "النظم" عند الجرجاني مع الفارق بين المصطلحين في الواقع التطبيقي زماناً ومكاناً عند الرجلين (محمد ع.، 1945، الصفحات 87-135). الشعرية مصطلح غائب في التراث المعجمي بمعناه الحقيقي مرتبط بالشعر ولا يوجد عند النقاد القدماء، إلا ما ظهر في نظرية النظم. وعليه فالشعرية عند الجرجاني حاضرة بين التأويل والعلم وبين الابداع والتفسير، الهدف منها معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة العمل الأدبي في لغة ما بمساعدة اللفظ والنحو لتحليل العلاقات. والنظم هو حركة واعية تعتمد على المعجم والنحو والبنية الإيقاعية دون الوزن والقافية، والبنية الداخلية والمزية اللفظية تتفاوت من مبدع لآخر. وهذا مجال الشعرية الجرجانية بالإضافة إلى الدلالة النصية والظواهر التعبيرية مثل: التوازي، والتجانس بين مستوين: المعنى ومعنى المعنى، وجماليات الكثافة والتلطف والحذف والاتساع المجازي الذي هو الانزياح، وتختلف الشعريات باختلاف النظم، وبما سبق ندرك استغراق عبر القاهر الجرجاني لكثير من مفاهيم الشعرية الحديثة المنقبة عن الطاقات الكامنة في الكلام.

4-1- كتاب "دلائل الإعجاز" للجرجاني، وملامح الشعرية العربية:

قبل الكتاب، ترجع جذور "نظرية النظم" إلى القرن الثاني والثالث هجري، لما باتت ظاهرة الاعجاز البلاغي الشغل الشاغل لابن المقفع، والجاحظ والفارسي واليوناني والهندي وأعمال المعتزلة الذين تعمقوا في بالمعاني لكشف ما وراء اللفظ؛ وبعدهم جهود ابن قتيبة الذي أشار إلى النظم بمعنى سبك العبارة من سبك الالفاظ؛ ي؛ وفي القرن

الرابع وبعدهم في القرن الرابع هجري المتفلسفة أمثال قدامة بن جعفر (337هـ)، والرمّاني(386هـ)، والخطابي(388هـ)، والواسطي، وأبو هلال العسكري، والآمدي، وعلى بن عبد العزيز الجرجاني؛ وفي القرن الخامس الهجري ظهرت فيه أعمال المتكلمين في إعجاز القرآن كالباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وأعمال المتأدبين كابن رشيق القيرواني، وابن سنان الخفاجي؛ لتكتمل البحوث اللغوية على يد عبد القهر الجرجاني ونظرية النظم. (محمد ع.، 1945، الصفحات 13–34). ويواصل "مسعود بودوخة" في كتابه" نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها" البحث في الجذور فيقول في المقدمة: إن نظرية النظم وضع أصولها وشرح مبادئها عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس هجري، فهي تأسيس للدرس البلاغي العربي، وهي ملتقى لكثير من العلوم كالإعجاز والبلاغة والنقد وعلم الكلام، وقد فصّل محتواها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". انطلق من القرآن الكريم وإعجازه وتحديه مع دعوته لإعمال الفكر، فكانت البداية؛ القول بالصَّرفة وتعني كما عند الخطابي: صرف الهمم عن معارضة سور القرآن، إلا أن القول بالصرفة يهمل خصوصية القرآن الكريم وسر جماله وروعة بيانه وفصاحة ألفاظه؛ واعتبر "السكاكي" الذوق مدرك الاعجاز في القرآن الكريم؛ ثم ظهر الصراع حول اللفظ والمعنى: فمنهم من اهتم بالمعنى وأغفل اللفظ، ومنهم من اهتم باللفظ، ومنهم من ساوى بينهما، ومنهم من نظر إلى اللفظ من جهة دلالته على معانيه (مسعود، 2018، الصفحات 7–16).

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز سبب تأليفه للكتاب بقوله "ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنىً الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاءٍ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليُطلَب، وموضع الدفين ليُبحَث عنه فيُخرَجَ، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدةَ لتبنِيَ عليها. ووجدت المُعوَّل على أنَّ هاهنا نظماً وترتيباً وتأليفاً وتركيباً، وصياغة وتصويراً، ونسجاً وتحبيراً، وأنّ سبيلَ هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها " (عبد القاهر، الصفحات 34–35)، وجد الجرجاني أن الجميع يشتركون في التأليف والتركيب والتصوير، فبسّط قوانين البلاغة الغامضة في النصوص وسهل قوانين النحو الظاهرة للعيان. وبدأ بتبسيط مصطلح "النظم" بالإشارة إلى نظم الحروف ونظم الكلم بقوله" وذلك أن نظم الحروف هو تواليه في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن المعنى، ولا الناظم لها بمُقتَفٍ في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرَّى في نظمه لها ما تحراه...وأما نظم الكَلِم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على ترَتب المعاني في النفس. فهو إذن نظمٌ يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي هو ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق" (عبد القاهر، صفحة 49)، فترتيب الحروف في الكلمة

يرجع للنطق وترتيب الكلمات في الجمل يرجع للمعنى. وربط النظم بالفكر والعقل "النظم الذي يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، صنعةٌ يستعان عليها بالفكرة لا محالة" (عبد القاهر، صفحة 51)، وجعل النظم داخل في المعنى وإن كنا لا نشعر به وأشار إلى بعض مرادفاته بقوله" وإذا كنت تعلم أنهم قد استعاروا النسج والوشيَ والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم، وكان لا يُشكُّ في أن ذلك كلَّه تشبيه وتمثيل يرجع إلى أمور وأوصاف تتعلق بالمعاني دون الألفاظ، فمن حقك أن تعلم أن سبيل النظم هو ذلك السبيل" (عبد القاهر، صفحة 53)، وربط النظم بالنحو وهو التعريف الجلي والواضح للنظم الذي ركز عليه الجرجاني بقوله "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِلُّ بشيء منها" (عبد القاهر، صفحة 81)، فالنحو أساسي في النظم، وهو بهذا يحي جهود الأوائل في النحو، ويضع أسس تخدم اللغة العربية وتزيدها تمكيناً وتقنيناً، وهو المعيار الأول لقياس الشعرية العربية والذي جاء كدرجة أقل من شعرية السليقة العربية السابقة.

مما سبق ندرك أن "عبد القاهر الجرجاني" يفرق بين الحروف المنظومة والكلم المنظوم؛ لأنه ليس الغرض بنظم الكلام أن تتوالى ألفاظه في النطق بل أن تتناسق دلالة الألفاظ بالكلمة في العبارة مرتبط معناها بجارتها، وأن ترتيبها ناشئ من ترتيب المعنى في النفس، فالبلاغة لا تعود للفظ بل إلى النظم، والنظم أن تضع كلامك موافق لعلم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت (أحمد أحمد، الصفحات 102-112).

انتقد الجرجاني بنظرية النظم، النظريتين القائلتين بأن بلاغة الكلام في اللفظ؛ وبأن بلاغة الكلام في المعنى؛ فقال: بلاغة الكلام ليست في اللفظ ولا في المعنى بل فيهما معاً في نظم الكلام والأسلوب. ومبادئها ثلاث ثنائيات: المعاني والألفاظ، والتراكيب والمفردات، وصورة المعنى وأصل المعنى؛ والعبرة في النظم بأول الثنائية. كما بيّن دقائق الفروق بين التراكيب المتقاربة التي قد يتوهم تكافؤها في المعنى والاستعمال، مركزاً على مجموعة من الأبواب منها: الاسناد والخبر، التقديم والتأخير، الحذف والذكر، التعريف والتنكير، الفصل والوصل، استعمال "إن" (مسعود، 2018، الصفحات 55-120).

وفي كتابه "أسرار البلاغة" حاول تطبيق ما نظَّر له في "دلائل الاعجاز" بتتبع كلام العرب وضرب الأمثلة لتوضيح مفاهيمها أكثر. ومن المحاور التي تطرق لها في الكتاب نجد: اللفظ والمعنى، أقسام الكلام، القول في التجنيس، المقصد، الاستعارة، التشبيه والتمثيل، الأخذ والسرقة والتخييل والتعليل، الحقيقة والمجاز، الحذف والزيادة. ولتقريب الصورة أكثر نتمعن فيما قاله في اللفظ والمعنى: الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مرتبها، ويكشف صورها، ويجني ثمارها، ويبرز ما في ضمائرها، وهو ميزة الإنسان في علمه وعقله وخواطره. والألفاظ لا تفيد حتى

تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، وهذا التأليف يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل (عبد القاهر، أسرار البلاغة، الصفحات 2–3).

ويطول الكلام حول نظرية النظم، والواضح أنها نظرية تراثية رائدها عبد القاهر الجرجاني، ظهرت في القرن الخامس هجري، غرضها البحث في اللفظ والمعنى والنظم الكلامية، ترجع جذورها إلى القرون الهجرية الثلاثة الأولى. ساهمت في تأسيس الدرس البلاغي العربي، رغم أن بعض الجذور سبقتها مثل الصَّرفة عند الخطابي، والذوق عند السكاكي. ظهرت مبادئها في كتابي الجرجاني" دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" ومنها الثنائيات: المعاني والألفاظ، التراكيب والمفردات، وصورة المعنى وأصل المعنى. اندرجت تحتها بعض الجزئيات مثل المجاز والاستعارة والتشبيه والحذف. وبهذا اكتملت بوادر الشعرية العربية التي كشفت روعة وبراعة وتمكن اللغة العربية والخصائص المتفردة بها. والتي زادها القرآن الكريم اعجازاً وبراعة. ومكّن لها في الأرض تاريخاً وحضارة.

ومن جهة ارتباط النظرية بالفكر اللغوي. فهو ذو اتجاهين: الاتجاه الأول يفصل بين الفكر واللغة: اللغة عندهم تصور لأجزاء العالم وتركيب للكلام بميزان متساوٍ من الأسماء؛ ويمثله الفلاسفة: جابر بن حيا، الفارابي، ابن سينا، وهو متأثر بأفلاطون. والاتجاه الثاني يجمع بين اللغة والفكر، حيث كشف عبد القاهر الجرجاني العلاقة بين الفكر واللغة داخل الأسلوب القرآني، ونظرية النظم خلاصة ذلك، فرأى أن الألفاظ تخدم المعاني، والمعاني هي الأصل في كل تعبير لغوي داخل نظام محكم، يسيره الترابط العضوي (الاعراب، الموسيقى، جمال الصورة، حسن الأسلوب، الفكرة، الرمز، التناسق والانسجام) (وليد، 1983، الصفحات 153–158). وبهذا اتضح منهج الجرجاني الجامع بين اللفظ والمعنى أو بين الفكر واللغة.

لقد تطرق" عبد القاهر الجرجاني" في "دلائل الإعجاز" إلى محاور لا تخرج عن اللغة العربية خدمة وتقنيناً، بين النحو والبلاغة واللفظ والمعنى. فهو كتاب لغوي بامتياز جمع القواعد وحاول تبسيطها. ومحاوره هي: فضل العلم، البيان، النحو، النظم، الكناية والاستعارة والتمثيل، اللفظ، الإضافة، التقديم والتأخير، النكرة، الحذف، الخبر، المصدر، الفصل والوصل، المجاز، الحسو، إنما، الفصاحة.....الخ

وخلاصة كتاب "دلائل الاعجاز" تمحورت مسائله عامة حول النحو والبلاغة والنظم إضافة إلى اللفظ والمعنى الذي هو الرابط الفصل وقد أشار إليه، وهو يدافع من صميمه عن خصوصية اللغة العربية وقوة تماسكها مع شدة تأثرها بالقرآن الكريم، والتي اعتبرها البعض لب الشعرية العربية في ذوقه وجماله اللغوي وحسن بدهيته مع اطلاع معرفي حاضر لا يمكن تجاهله خاصة لمن أراد صنع نظم متناسق ومتكامل، وأول ما يميز الكتاب أن صاحبه يرد على المعتزلة في تطرقهم للمسائل اللغوية ويحاول تقديم البديل. ومن مسائله: النحو من مقومات الشعرية العربية،

فالإعراب يفتح الألفاظ ويستخرج أغراضها ويخدم التفسير والتأويل، وهو مرتبط بالنظم لأنه قانون ننظر به للحروف وننظر به للجمل، ومنها: التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل في باب العطف، وقانون "إنَّ" و"إنما" وما يتعلق بهما. هي جزء من قواعد نحوية كثيرة حافظت على جمال العربية. والبلاغة العربية مبنية على المجاز والمعاني الخفية، وهي الشعرية في أعلى مستوياتها، تقودنا إلى المعنى أو معنى المعنى، وتتجسد في الفصاحة والكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز الذي هو اللفظ القليل الدال على المعنى الكثير. ويجمع النحو والبلاغة النظم المتوخي لمعاني النحو في أحضان المزية اللفظية والنظمية المرتبة للكلام. دون إغفال العلوم الأخرى للعربية في امتدادها التاريخي. والذي انبثقت منه شعرية عربية حية تتفاعل وتتجدد مع الزمان والمكان.

وتدور شعرية "الجرجاني" حول الكلام، ما أنت ترى المزية في نظمه؛ والحسن كأجزاء من الصيغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين؛ ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك منه دفعةً ويأتيك منه ما يملأ العين ضربةً حتى تعرف مكانة الرجل من البيت، وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر والنمط العالي الشريف، والذي لا تجده إلا في شعر الفحول البزَّل ثم المطبوعين الذين يُلْهَمُون إلهاماً. ومن صفة النظم الدقة بأن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضع في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بثمنه ههنا حال ما يضع بيساره هناك كالتزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً. (عبد القاهر، دلائل الإعجاز، الصفحات 88-93)

4-2- كتاب "الكلمات والأشياء" لفوكو، وملامح الشعرية الغربية:

البنية أو البنيات سواء كانت لغوية أو إجتماعية أو ثقافية أو غيرها من أصول الملامح الاولي للشعرية القادمة. أعاد"ليفي ستروس" للأذهان الخطوات الأساسية لعلم اللسان أو الألسنية(Linguistiqu)؛ وبالأخص علم الأصوات الكلامية أو الصواتية (Phonologie): فعلم الأصوات الكلامية ينتقل من دراسة الظاهرات اللغوية الواعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية؛ مع تحليل العلاقات بين الالفاظ؛ واتخاذ النسق مرجع للوصول إلى اكتشاف قوانين عامة. (روجيه، 1979، الصفحات 20-34)

قامت البنيوية(stricturalism) اللغوية على النماذج اللغوية لدوسوسير، حيث ميز بين الكلام واللغة بوصفهما نظام، أي علم اللغة يمكن أن يفيد في دراسة الظواهر الإنسانية وذلك انطلاقاً من فكرتين: الأولى: الظواهر الاجتماعية والثقافية هي علامات؛ والثانية: هذه ظواهر تربطها شبكة من العلاقات الداخلية. وقد انطلقت من حلقة براغ، واكتملت في الخمسينيات من القرن المنصرم في فرنسا، بفضل جهود "كلود ليفي ستراوس" في الانتربولوجيا؛ و"جاك لاكان" في علم النفس؛ و"رومان جاكبسون" في علوم اللسان والنقد الأدبي؛ ورولان بارت في النقد الأدبي.

وتميزت بالشمولية والتحول والذاتية والانضباط والتركيز على النسق أو البنية دون أن تخرج عن الثنائيات (التزامن والتعاقب، الدال والمدلول، اللغة والكلام). ومن اتجاهاتها: البنيوية الشكلانية، والبنيوية الأنتربولوجية والبنيوية التكوينية أو التوليدية هذه الأخيرة بقيادة الماركسي "لوسيان غولدمان" الذي حاول التوفيق بين الشكلانية وأسس الفكر الماركسي. ما سمح بانتقاد البنيوية بعدما وصلت إلى حالة من الانسداد؛ وأهم نقادها الفرنسيان" جان بياجيه" و"روجيه غارودي" (بسام، 2006، الصفحات 123–134).

كلٌّ حاول تطبيق ما جاء به "دي سوسير" فحدثت انتفاضة على مستوى النص على مختلف المجالات واثمرت عدة أسس واتجاهات، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً؛ لأنه حدث تقييد على مستوى النص، وهذا ما يتنافى مع العملية الإبداعية الحرة الطليقة الذاتية الخصوصية، مما جعل البعض يفكر في طريقة للعودة إلى أحضان الانسان والتاريخ والابداع فكانت البنيوية التكوينية. وهذا على مستوى سطحي. وبمنظار أكثر دقة وعمق نطرح سؤال: هل الشعور بالتوافق في أسس البنيوية كان حقيقة أم العكس؟ وللإجابة نقف في كتاب "البنيوية" من خلال: البنيوية اللغوية لنتلمس الفارق بين البنيوية الديسوسيرية والتوليدية. فاللغة مؤسسة اجتماعية تفرض نفسها على الأفراد وتتناقل من جيل إلى جيل، لها أشكال متنوعة وتستقل عن قرارات الفرد معتمدة على علاقاتها البنيوية المنطلقة من النظام على حد تعبير دي سوسير، وهي متصلة بالتاريخ والتزامن في تطابق بين الإشارة والمعنى وبتحكم عدة أسباب منها: الاستقلالية النسبية لقوانين التوازن بالنسبة لقوانين التطور؛ وهذا ربما أخذه من النظرة الاقتصادية؛ والسبب الثاني: هو سعيها للتخلص من العناصر الغريبة على علم اللغة والاكتفاء بالنظام الملازم والواضح؛ والسبب الثالث: يقوم على ابعاد الإشارات الشفوية لكونها لا تحتوي على علاقات جوهرية. (جان، 1985، الصفحات 72–63) فالتزامن والتاريخ لا يمكن الاستغناء عنهما إلى جانب التركيز على الاستقلالية والتطور والوضوح مع إعطاء الأولوية للمكتوب، حتى لا تتضارب وجهات النظر وتكون هناك نقطة التقاء ولو جزئية.

ويستمر التطور عند التوليديين معتمدين على بنية النحو بعيداً عن النظام التزامني مع هاريس وتشومسكي؛ وقد عادا إلى أحضان علم النفس وعلم الأسلوب في مسعى لاستنباط نظرية في علم قواعد اللغة كخطوة لتجديد البنية المشتركة للغات، بدايةً من الربط بين تطور الكائن الفرد والبنيوية اللغوية في مختلف المجالات: مثل الانفعال الشعوري، والرمزية اللاواعية، وقد اهتم "شارل بالي" باللغة الانفعالية (Langage affectif) ووظيفتها في تقوية التعبيرية (جان، 1985، الصفحات 63–72). وبهذا يستمر التطور وتتجلى المعالم أكثر وتتسع دائرة التفاعل بالنسبة للبنيات اللغوية لتعود إلى أحضان التأثيرات الفيزيولوجية، ولكن عندما نتكلم عن الشعور واللاواعي فإن

الامر يزداد غموضاً، ومنه كلما حاولنا أن نخرج بوضوحية البنيوية اللغوية إلا واصطدمنا بمعيق جذري لا يمكن الفرار منه. وبهذا يجب التريث وعدم التعميم، وبالأحرى عدم تحجيم النظرية اللغوية المعاصرة لتبدوا أكثر قابلية.

وهذا ما تجلى في خطوة مكملة للطرح السابق، وهي السعي لموازنة البنيات اللغوية بحيث أن اللغة تتأثر فطرياً وعقلياً وتاريخياً؛ فنتج اتجاهين: فطري يعرض نفسه ومكتسب خارجي، تحاول البنيات اللغوية احتضانه لتحقيق الموازنة الداخلية الملخصة في العلاقة بين اللغة والفكر أو البنيات اللغوية والبنيات المنطقية (جان، 1985، الصفحات 72–79). ويبقى العقل هو الحكم الفصل لتحديد الفنيات والأساسيات ومختلف التقاربات؛ وهنا مربط الفرص إذا كان عقل موهبة يمكن أن يفجر الجديد دون صعوبة ولا تحديد؛ وإذا كان عقل تجربة يحاول التقريب والتحليل

وتتجلى الشعرية الغربية بوضوح عند"ميشال فوكو" في كتابه" الكلمات والاشياء" حيث ربطها بالبنية فعرض نظريته على البنيات المطلقة بداية بالكلمات ووصولا إلى الأشياء. يوضح "رجيه غارودي" في كتابه "البنيوية" أن فوكو: يحدد ثلاث بنى متعاقبة: البنية التي سادت حتى عصر النهضة، والبنية التي سيطرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأخيراً البنية التي رأت النور في القرن التاسع عشر؛ فالأولى: هي بنية المعرفة وعلاقتها بالأشياء، أي الرموز؛ والثانية: بنية تنطلق من الفروع العلمية الثلاثة: القواعد العامة، التاريخ الطبيعي، وتحليل الثروات؛ والثالثة: بنية اللغة وما تحويه من تحولات على جميع الأصعدة الاجتماعية أو الاقتصادية (جان، 1985، الصفحات 35–48).

وبقراءة خاطفة لكتاب "فوكو"وبداية من العنوان"الكلمات والاشياء" المنصب في رحاب شعرية البنية والنظام صرح في مقدمة كتابه قائلاً" إن النظام هو في آن واحد ما يتبدى في الأشياء بوصفه قانونها الداخلي والشبكة السرية التي ينظر من خلالها –بمعنىً ما–بعض هذه الأشياء البعض الآخر" (ميشال، صفحة 23) والمبنية على القانون فيقول" إن القوانين الاصلية لثقافة ما، تثبت منذ البداية لكل إنسان النُظُم التجريبية التي سيواجهها، والتي سيجد نفسه فيها" (ميشال، صفحة 24) وما يزيد الأمر تأكيداً هو قوله: " أظهرت ثقافتنا أن ثمة نظاماً، وإن التبادلات مدينة بقوانينها والكائنات الحية بانضباطها والكلمات بتسلسلها وقيمها التمثيلية لصيغ هذا النظام" (ميشال، صفحة 25) فالنظام والقانون هو تعبير صريح عن النظام العام للشعرية، وقد اعتمده "فوكو" للوصول إلى نظريات ومعارف جديدة غير معتمدة، من خلال تحليله للمرئي للوصول إلى المخفي، واستغل في سبيل ذلك جميع المحاور اللغوية والمعرفية المتاحة، مع اعتماد الموضوعية التي تعطي المصداقية، وكذلك اعتماد العلمية المبنية على الخطوات الصريحة والبرهان العقلي للرياضيات.

ومحاور كتابه مفصلة في عشر فصول كلها تمس جزئيات الشعرية، هي: 1) الوصيفات، 2) نثر العالم، 3) التمثيل، 4) التكلُّم، 5) التصنيف، 6) المبادلة، 7) حدود التمثيل، 8) العمل –الحياة واللغة، 9) الإنسان وازدواجياته، 10)، و حضور نظريات المعرفة ومنها: نظرية الفن، نظرية الشارات، نظرية الجملة، نظرية الاشتقاق، نظرية التمفصل، نظرية التسمية، نظرية التطور، نظرية التاريخ الطبيعي، نظرية الاقتصاد، نظرية السعر، نظرية القيمة الذاتية، نظرية الإنتاج، نظرية التداول، وهي حصيلة تجربة معرفية حاول تلخيصها وإعادة بنائها.

وخلاصة الشعرية الغربية تبدوا جلية من ملخص كتاب "الكلمات والأشياء" السابقة أفكاره، والذي يعد ممهد للشعرية الغربية المستمدة من البنية الحياتية، والبنية اللغوية، والبنية التاريخية، والبنية الفلسفية، ومختلف البنيات، المتشكلة تدريجياً من أسس بدائية، إلى نظريات نقدية، قائمة على المنافسة ورصد الآراء، وتقديم الانتقادات. فهو يعتبر: الفنَّ أصلٌ أصِيل في الحياة، يغذي الشعرية كقانون لتحقيق الجمالية. والعقل يفهمك اللغة كهوية تميِّز وجود الشعوب، وتشكل النص في ملمح آخر للشعرية اللغوية أو القوانين المؤسسة للنسيج اللغوي في كينونته المبنية على الدال والمدلول. لينقل تجربة نظام داخلي يمثل عمق التمثيل وبتدخل الرياضيات ظهرت قوانين تخدم الفكر واللغة، بعدما كانت البدائية تخيم على الواقع. والشفافية التواصلية المبنية على الحروف والكلمات أو المصطلحية الاعتباطية. لتأتي بعدها اللغة الثانية المبنية على الشرح والنقد والنظريات (نظرية الجملة، ونظرية التمفصل ونظرية التسمية، ونظرية الاشتقاق). لتستقل اللغة كقانون وككيان يتصارع مع التاريخ والطبيعة والفيزيائية، لتظهر البنية كلغة أولى غامضة، والسِّمة كلغة الثانية واضحة سمحت بإنتاج خطابات قيمة. وبظهور نظرية التطور والنظرية النقدية تجلت الشعرية التاريخية والطبيعية. وبظهور النظام التجاري ونظرية سعر المبادلة، ونظرية القيمة الذاتية، واستُغلت المعادن من طرف المركنتيلية أو الإتجاريين أصحاب المنفعة واللذة ومبدأ القيمة والرهن، والمنفعيون وتجار العقار الفيزيوقراطيون. تبيَّن أن نظرية القيم توازي نظرية البنية وأن النظام القائم في التجارة هو نفسه القائم في التاريخ الطبيعي والنحو العام. إنها شعرية التجارة التي أُسُسُها البنية القيمية والمنفعية والنظرة التبادلية، لينتقل إلى القسم الثاني ويفتش في البنيات الفكرية. فحياة الإنسان الفكرية الجديدة محكومة بأصناف أربعة هي: الترتيب والإدراك والوظائف والتوازي، في فلسفة الوجود واللاوجود، والإرادة والكلام، وقانون مقارنة اللغات السنسكريتية واللاتينية واليونانية. بمساعدة فاعلين أمثال "ريكاردو" في الإقتصاد، و"كوفييه" في البيولوجيا، و"بوب" في فقه اللغة، و "نيتشه" في موت الإله، ليستفيد بعدها دوسوسير بالتعاقبية والسيميولوجيا، في نقل الإنسان من البدائية إلى الحضارة والماورائية، ومن الفكر إلى اللافكر، وفق قوانين الحياة والإنتاج واللغة، في ابستمولوجيا معاصرة قائمة على الأخلاق والسياسة، و بمساعدة الأقسام الأربعة (تحليلات التناهي، التكرار التجريبي، اللافكر، الأصل)، ينتقل التحليل من

العلاقات الخارجية إلى البنيات الداخلية بمصطلحات جديدة هي: الترنسندنتالي (فلسفة التعالي)، والكوجيتو (المسافة بين الفكر واللافكر)، فاضحة الصراع بين الكينونة الإنسانية والكينونة اللغوية. وبين المعطيات الفكرية والفلسفية والنفسية والاجتماعية في أحضان العلوم الإنسانية. إلا أن العلوم الإنسانية شكلت تهديداً لجميع العلوم ما جعلها ركيزة للمعرفة الحديثة؛ سيكولوجيا وسوسيولوجيا وتاريخياً وأنثولوجياً، وتحليلاً للآداب والأساطير. وبه صارت العلوم الإنسانية تنافس العلوم اللسانية.

5- خاتمة:

يستمر التنافس بين الشعريتين الغربية والعربية ويستحيل التآلف بينهما نظراً لاختلاف الجذور والمعطيات ووجهات النظر، الشيء الذي يحتم علينا بذل مزيد من جهود التقارب، تمهيداً لمعطيات جديدة وتوافقية إيجابية تنعكس على الابداع والنقد خاصة، وعلى الحياة الفكرية والفلسفية عامة، مما يساهم في خدمة الإنسانية، بهذا نصل إلى النتائج البحثية التالية، والتي نأمل أن تقديم نظرة واقعية لحقيقة الشعرية الغربية والعربية:

-إشكالات الشعرية مست جوانب معتبرة في حقل النقد والأدب؛ فقد خصت الأدبية والإنشائية والأسلوبية، والشعور، والبناء، والشعر، والشاعر، والناقد، والوجدان، والوزن، والقراءة، والتلقي، والموضوعية، والانزياح، والفجوة، والتفسير، والأثر الفني، واللسانيات الخالصة والتطبيقية، والأدب والمشاكلة والاختلاف، وأدبية الأدب، واللفظ والمعنى، والصنعة الطبعة، والقيمة والقياس، والذوق، والنفع، والحكم، والتاريخ، والإبداع.....يحركها الإنسان بشعوره وروحه، وأذواقه، وتاريخه، وعقله، ليعطي شعرية الأديب أو شعرية الناقد. وبهذا تبقى الاعتباطية تخيم على النظرية الشعرية؛

- على العموم تنبثق الشعرية من الشعور المستمد من الجمال والذوق والتجربة الفنية الرائعة الصادقة، تبدأ بالشفوية والقوانين العامة، والجدة والابداع، والتغيير، ونظرية الأدب، والواقع والأسلوب، وهي عامة تخص الحس والشعور واللغة الجميلة والرؤيا والتراث؛

-النص هو محل تجارب الشعرية إبداعاً أو نقداً في بنيته الجزئية والعامة، تسعى إلى معرفة القوانين العامة والأنظمة التاريخية التي تنظم ولادة النص الأدبي بواسطة اللغة؛

-الشعرية العربية الجرجانية تقوم على النظم بعلاقاته النحوية والبلاغية، وتقوم على الدلالة النصية، وهي حاضرة بين التأويل والعلم، وبين الإبداع والتفسير، وبين بلاغة اللفظ والمعنى معاً. وقبلهما الصّرفة والذوق، تدرجت هذه المعاني لتكمل أسس نظرية النظم. ولكن الملاحظ أن الجدال حول اللفظ والمعنى أخذ حيزاً كبيراً، ودارت عليه الدراسات النقدية التقليدية العربية، وهو مؤشر على تطورها وانفتاحها المستمر دون توقف، فظهرت ملامح الابداع والجمال وتأسست الشعرية العربية.

–أما الشعرية الغربية الفوكُوية، فتقوم على البنية أو البنيات اللغوية والشعورية واللاواعية، من المعرفة والقواعد اللغوية، في نظام القانون الداخلي للثقافة بتحليل مرئي للوصول إلى الخفي، بموضوعية وازدواجية، داخل نظريات نفسية ومعرفية واجتماعية تظهر في الفن والقانون والعقل والغموض والسمة والقيمة، بمصطلحات جديدة منها: الترنسندتالي والكوجيتو، لها صلة بصراع الإنسان واللغة ظهر بوضوح في العلوم الإنسانية واللسانية.

وأخيراً ما يربط الجرجاني وفوكو هو اهتمامهما بالبنية والنظام المتحكم في سيرورة اللغات وجمالياتها وخصوصياتها، فيبقى "الجرجاني" بنظمه محصوراً في جماليات وبلاغة اللغة العربية وإعجاز القرآن الكريم، وهي مقصدية واضحة ضمن اللغة والدين. وتحرر "فوكو" ببنيته من اللغة إلى بنيات الحياة من اقتصاد وتجارة ونفوس ومجتمعات وإنسان، ما جعله يتيه ويتململ في أفكاره وهذا ما تلمسه عند قراءتك لكتابه. وهذه المقاربة هي خطوة للبحث والتأصيل لمعالم الشعرية العربية والغربية.

6–قائمة المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم برواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم زكرياء. (بلا تاريخ). *مشكلات فلسفية(مشكلة البنية)*. مصر: مكتبة مصر.

2) أدونيس. (1989). *الشعرية العربية*. بيروت: دار الأدب.

3) أدونيس. (بلا تاريخ). *الثابت والمتحول*. دار الساقي.

4) الجرجاني عبد القاهر. (بلا تاريخ). *أسرار البلاغة*. مكتبة المصطفى.

5) الجرجاني عبد القاهر. (بلا تاريخ). *دلائل الإعجاز*. (محمد شاكر أبو فهد محمود، المحرر)

6) الخطيب محب الدين. (2011). *الحديقة*. مصر: المكتبة السلفية.

7) الديدي عبد الفتاح. (1990). *الخيال الحركي في الأدب النقدي*.

8) الغدامي عبد الله . (1994). *المشاكلة والاختلاف*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

9) الفراهيدي الخليل بن أحمد. (بلا تاريخ). *العين*. (وإبراهيم السمرائي مهدي المخزومي، المحرر)

10) بدوي أحمد أحمد. (بلا تاريخ). *أعلام العرب8*. مصر: الناشر مكتبة مصر.

11) بكادي محمد. (2011). *أثر الفكر الديني في روايات باولو كويلو*. لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

12) بن خليفة مشري. (2011). *الشعرية العربية(مرجعياتها وابدلاتها النصية)*.

13) بودوخة مسعود. (2018). *نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها*. عمان: مركز الكتاب أكاديمي.

14) بياجيه جان. (1985). *البنيوية*. (وبشير أوبري عارف منيمنة، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.

15) تاوريرت بشير. (2010). *الحقيقة الشعرية*. الأردن: عالم الكتب الحديثة.

16) تحريشي محمد. (بلا تاريخ). *أدوات النص*. اتحاد كتاب العرب.

17) تدوروف تزفيطان. (2016). *نظرية الأجناس الأدبية*. (بوعلي عبد الرحمان، المترجمون) دمشق: دار نينوى للنشر.

18) جاكبسون رومان. (1988). *قضايا الشعرية*. (ومبارك حنون محمد ولي، المترجمون) دار توبقال للنشر.

19) حسين طه. (بلا تاريخ). *دراسات في الأدب الأمريكي*. القاهرة: فرانكلين للطباعة والنشر.

20) دياب عبد الحي. (بلا تاريخ). *شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث*. القاهرة: دار النهضة العربية.

21) سامي سحر. (بلا تاريخ). *شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لابن عربي*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

22) سيده ابن. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم*. (هنداوي عبد الحميد ، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

23) عبد المطلب محمد. (1945). *قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني*. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

24) غارودي روجيه. (1979). *البنيوية(فلسفة موت الانسان)*. (طرابيشي جورج، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

25) فوكو ميشال. (بلا تاريخ). *الكلمات والأشياء*. (وآخرون مطاع صفدي، المترجمون) لبنان: مركز النماء القومي.

26) قطوس بسام. (2006). *المدخل إلى مناهج النقد المعاصر*. الاسكندرية: دار الوفاء.

27) محمد مراد وليد. (1983). *نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني*.

28) ناظم حسن. (1984). *مفاهيم الشعرية*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

29) نعيمة مخائيل. (1991). *الغربال*. بيروت: نوفل.